سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٦)

فضائل ليلة القدر وتحريها

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر







فضائل ليلة القدر وتحرِّيها

00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9

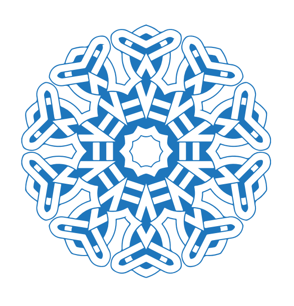
للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(٦)

فضائل ليلة القدر

وتحريها



لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً كثيراً طيِّبًا مُباركًا فيه كما يحبه ربُّنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبد الله ورسوله، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّنا في هذه الليالي الفاضلة، مُقبلون على عشرٍ فاضلة هي من أفضل الأيَّام الَّتي كان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يجتهد فيها، وإنَّ لهذه العشر فضلٌ عامٌ بجميعها، وفضلٌ خاصٌ لبعض الليالي فيها، ومن أعظم الليالي فيها قدرًا وأجلِّها منزلة (**ليلة القدر**).

هذه الليلة العظيمة التي لشرفها أنزل الله عَزَّوَجَلَّ سورةً في نعتها وبيانِ ما فيها من الفضل العظيم، هذه الليلة ليلةٌ عظيمةٌ جليلةٌ في ما نشأ فيها وجعلَه الله عَزَّوَجَلَّ، وفيما يُضاعف به الله عَزَّوَجَلَّ أعمالَ المتقين المؤمنين فيها.

وإنَّ أعظم ما يكون خبراً صادقًا عن هذه الليلة وفضلها ونعتها، وما فيها من الفضائل والصفات هو إخبار الله عَزَّوَجَلَّ عنها، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ [القدر].

هذه السورة من أوّلها لآخرها هو حديثٌ عن هذه الليلة العظيمة الجليلة التي من أدركها وأحسن العمل فيها فإنَّه حينئذٍ يكون مغبونًا، يكون رابحًا، يكون قد اكتسب تجارةً

رابحةً وفاز فوزاً عظيما إنْ تقبل الله عَزَّوَجَلَّ عمله، ومن أدرك هذه الليلة ولم يُحْسِن فيها العمل فإنَّه حينئذٍ هو النَّادم وهو الخاسر.

فَنَفْسَكَ لُمْ، وَلَا تَلُمِ الْمَطَايَا   وَمِتْ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اعْتِذَارُ

يقول الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ أي: إنّا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، فالقرآن قد أنزله الله عَزَّوَجَلَّ في ليلة القدر، وقد جاء عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجاء مثله عن غيره من علماء السلف في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنزله إلى بيت العزّة، أي: أنزل القرآن إلى بيت العزّة في سماء الدنيا في ليلة القدر، ثمّ أنزل الله عَزَّوَجَلَّ القرآن بعد ذلك مُنجماً مُفرقاً على نبيّه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بحسب الحوادث في بضعٍ وعشرين سنة.

ومن شرف هذه الليلة أنَّ شرفها بتشريف الله عَزَّوَجَلَّ لها، ولذا فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ افتتح هذه السورة في نعت هذه الليلة الفاضلة بالإشارة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾.

وفي هذه الآية من الفقه أنَّ فيها إشارة إلى أنَّ من أسباب تفضيل هذه الليلة على غيرها من ليالي العام إنزال الله عَزَّوَجَلَّ القرآن فيها، وهذه من دِلالة الاقتران فإنَّها تدلُّ على أنَّ للقرآن شأناً مع هذه الليلة، ففي هذه اللَّيلة كان ابتداء نُزوله، ونُزوله كاملاً للسماء الدنيا، وفي هذه الليلة -كما سيأتينا- يُشرع للمسلم أن يكثر من قراءة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

ثمَّ يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢﴾ هذا السّؤال إنّما هو للتعظيم وللتفخيم لبيانِ فضل هذه الليلة، وأنَّ المرء مهما ظنَّ أو حَسِبَ إخبار الله عَزَّوَجَلَّ له فلن



يدرك فضل هذه اللّيلة ولن يَخْرِص ما جاء فيها من المكانة السامية، وإنَّما ذلك باختصاص الله عَزَّوَجَلَّ لها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ والعبد لا يدري إلّا بعلم الله عَزَّوَجَلَّ له وتعليمه إيَّاه، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو الَّذي يُعلِّم الآدميين ويدلُّهم، والنبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخبر إلَّا بخبرٍ من الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]. فهذا يدلُّنا على أنَّ المرء يحرص على ألَّا يتكلم بخرصه وظنّه وحَدْسِه وإنّما يقتصر على الأثر والنقل فيقول ما قال الله ورسوله، ويقف عند ما لم يرد ويَكِلُ علمه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولذا فإنّنا في هذه الليلة لا ندري ولن ندري فضلها إلا ما أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ به في كتابه، أو أخبرنا النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه فيما أخبره الله عَزَّوَجَلَّ عن فضلها.

وهذه الليلة سمَّاها عَزَّوَجَلَّ ليلة القدر، سميت بذلك لمعانٍ مشتركة كلها متحققةٌ فيها، **فسميت بذلك:**

❁ **أولاً**: لعِظَمِ قدرها عند الله عَزَّوَجَلَّ، فسمّيت ليلة القدر، **أي**: أنّها ذات قدرٍ عظيمٍ عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لما فيها من نزول القرآن، ولما فيها من كتابة وتقدير الآجال، ولما فيها كذلك من تعظيم الأعمال الصالحة كما سيأتي عند قوله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾.

❁ وسميت هذه الليلة ليلة قدرٍ؛ لأنّه يقدر فيها ما يكون في السنة كلها، ولذلك جاء عن ابن عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وقاله أكثر المفسرين أنّ هذه الآية هي التي يُقَدَّرُ فيها التقدير في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان]. فالله عَزَّوَجَلَّ قد نعت هذه الليلة بكونها ليلةَ قدرٍ ونعتها كذلك بأنَّها ليلةٌ مباركة،

مباركةٌ على صاحبها، ومباركةٌ على المسلمين، ومباركةٌ على أهل الدنيا كلِّهم.

وهذه الليلة هي ليلةٌ متكررة، فليست ليلةً واحدةً لا تتكرر بل هي في كل عام، كما أنَّ الأيَّام البيض موجودةٌ في كل شهر، وسُرُرُ الشهر -أعني: أوائله-، موجودة في كل شهر كذلك، والعيد موجود في كل عام، فيعيد ويعود بعود السنة، وكذلك ليلة القدر فإنّها تتكرر في كل سنة، وتعود عامًا بعد عام، وليست ليلةً ماضيةً فحسب بل هي باقيةٌ إلى قيام الساعة.

وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾، دليلٌ على أنَّ ليلة القدر في شهر رمضان، وذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بيَّن في هذه الآية أنَّه أنزل القرآن في ليلة القدر، وأخبر في آيةٍ أخرى أنَّه أنزله في رمضان ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥].

فحينئذٍ فإنّ كلام الله عَزَّوَجَلَّ متفق، فحينئذٍ تؤيدُ الأولى الثانية فيدلّ ذلك على أن ليلة القدر في رمضان، وهو الذي ثبتت به الأحاديث الصحيحة الكثيرة عن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الصحيح وغيره، ومنها ما جاء عند البيهقي عن أبي ذرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنَّه سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله ليلةُ القدر رُفعت مع الأنبياء أو هي باقيةٌ إلى قيام القيامة؟ فقال النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ هِيَ باقيةٌ إِلَى قِيَامِ الْقِيَامَةِ**». فسأل أبو ذرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أهي في رمضان أو في غيره؟ فقال النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**هِيَ فِي رَمَضَانَ**» ثمّ قال: «**هِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِرُ**»، وأمَّا ما جاء عن بعض الصحابة كابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنّه قال: «من يقم الحول يصبها»، يشير إلى أنّ ليلة القدر قد تكون في غير رمضان فإنّ هذا منه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ لكي يجتهد المسلم في السنة كلها، ولا يغتر بعمل ليلة فيغتر بهذه الليلة عن الاجتهاد فيها عن غيرها من الليالي، ولذا جاء عن أُبي بن كعبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ لمَّا أُخبر بقول عبد الله بن مسعود قال أُبَي:

«والله لقد علم ابن مسعود أنّها في رمضان ولكنَّه كره أن يخبركم فتتكلوا»، وهذا من باب إخفاء بعض العلم عن بعض النَّاس لكي لا يتكلوا؛ لأنَّ بعض النّاس قد يكون عنده جهلٌ في تصور الأحكام على تمامها، وعنده اغترارٌ في بعض الأمور فحينئذٍ كما فعل ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ربّما أخفى بعضَ العلم عن بعض النّاس لأجل هذه المصلحة.

وقول الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ **أي**: أنّ هذه الليلة هي خيرٌ من ألف شهرٍ ليست فيه ليلة القدر، فهي خيرٌ:

- باعتبار تفضيل الله عَزَّوَجَلَّ لها.
- وهي خيرٌ كذلك باعتبار أنَّ العمل فيها يكون أفضل من غيرها.

وليست هذه الخيرية مطلقة فإنّ بعض الأعمال في غيرها يكون أفضل منها، فعلى سبيل المثال من المتقرر عند العلماء أنَّ الفرائض كلّها أفضل من النوافل، فإنّ فريضةً واحدةً واجبةً على العبد الإتيان بها في غير ليلة القدر أفضل من الإتيان بالاجتهاد بالنوافل في ليلة القدر، ولذلك جاء في الصحيح أنّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَا تقرّب إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْته عَلَيْهِ، وَمَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**».

وهذا المعنى الذي ربّما لأجله خشي ابن مسعودٍ أن يقع فيه بعض النَّاس، وذلك أنّه ربّما اغترّ امرؤٌ لقلة علمه وقلة فقهه ومعرفته بأحكام الله عَزَّوَجَلَّ وشرعه فظنّ أنّه اجتهاد، أنّه إذا اجتهد في ليلة القدر وحدها أغناه ذلك عن العبادة في السنة كلّها، وليس ذلك كذلك، فإنّ الخيرية هذه إنّما هي خيريةٌ مقيّدة لا مطلقة.

وقد جاء في التفسير عن مجاهدٍ تلميذ ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّه قال: «بلغني أنّه كان في

بني إسرائيل رجلٌ لَبِسَ السلاح في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ ألف شهر فلم يضعه عن عاتقه، فذُكِر ذلك للنبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعجب أصحاب النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾، وفيها يقول الله عَزَّوَجَلَّ ليلة القدر خيرٌ لكم من تلك الألف شهرٍ التي لبس فيها ذلك الرجل من بني إسرائيل السلاح في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ»، هذا هو ما فسّره مجاهد وهو من المرسل وإسناده إلى مجاهدٍ ثابت.

وجاء في «الموطأ» للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أنَّه سمع من يثق به يذكر أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُري أعمارَ النَّاس قبله فكأنَّ النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقَاصَرَ أعمار أمته ألّا يبلغوا العمل الَّذي بلغهُ غيرهم في طول العمر، فأعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ ليلة القدر خيرًا من ألف شهر.

إذن: هذه الأحاديث تدلّنا على أنّ المقصود: أنّها خيرٌ باعتبار النوافل لا مطلق العمل.

ولذلك قرر أهل العلم في مسألة خير الأعمال، **قالوا:** ما وجد فيه **أمران:**

- مناسبه باعتبار الزمان.
- مناسبه باعتبار الحال.

فمن كان والداه حيّين فأفضل الأعمال برّهما، ومن حضرته وقت الصلاة فأفضل الأعمال أن يصلي الصلاة في وقتها، وهكذا سائر الأعمال كما قرّره المحققون في كتبهم ومنهم ابن مفلح وغيرهم من أهل العلم.

ثمَّ إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول بعد ذلك: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾.

﴿تَنَزَّلُ﴾ **أي:** أنَّ الملائكة المخصوصين الذين أَذِن الله عَزَّوَجَلَّ لهم بالنزول، ومعهم الروح وهو جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وجبرائيل أفضل الملائكة، كما أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل

البشــر، فيتنزل الملائكة الـذين أذن الله عَزَّوَجَلَّ لهم بـالتنزل، وينزل معهم الروح جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزلون إلى الأرض، وعطف الروح على الملائكة هو من بـاب عطف الخـاصِّ على العام؛ لأنَّ جبرائيل من الملائكة؛ وإنَّما عُطِفَ لبيان فضــله ومكانته، إذ هو أفضــل الملائكة.

وتنزل الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ في هذه الليلة العظيمة ليلة القدر هو بإذن الله عَزَّوَجَلَّ وأمره لهم بالتنزل، إذْ ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

وتنزل الملائكة يدلّنا على أمور متعددة:

❁ **أول هذه الأمور**: أنّ تنزل الملائكة تنزل معه البركة، فإنَّ بتنزلهم ينزل كل أمر من الخير والبركة، كما قال سـبحانه: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾. فكلّ الخير والبركة تنزل بتنزل الملائكة، فعندما يكثر تنزل الملائكة فإنَّه يكثر البركة حين ذاك وذلك في ليلة القدر، إذْ الملائكة يتنزلون مع تنزل البركة، فإنَّه إذا تُلي القرآن تنزلوا كما جاء في حديث أبي أسـيدٍ وغيره، وإذا جاء ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وحلق الذكر والعلم تنزلوا وحضــروا تلك الحلق، والملائكة تضــع أجنحتها لطالب العلم تعظيمـاً له ودِلالةً على بركة وقته وعمله.

فالمقصود: أنّ تنزل الملائكة فيه تنزل البركة.

❁ **الأمر الثاني**: الذي يكون فيه تنزل الملائكة، هو التنزل بما قدّره الله عَزَّوَجَلَّ، فإنّ مراتب القدر أربعٌ أحدها: الكتابة. **أي**: كتابة الله عَزَّوَجَلَّ للمقادير.

ومن المتقرر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسـنّة النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يقدّر

المقادير في خمسة مواضع، فيقدّرها:

ـ **أولًا**: كتابةً قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وذلك عندما خلق الله القلم، فقال له: (اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائنٌ إلى قيام السّاعة). كما ثبت عن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا التقدير هو التقدير الأزلي الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر.

ـ **والتقدير الثاني**: هو التقدير العُمري لبني آدم، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حين أخذ الميثاق: (ألست بربكم؟ قالوا: بلى). وذلك تقديرٌ عمري.

ـ **والتقدير الثالث**: التقدير لكل آدميٍ عند ابتداء حياته، عند تخلّقه نطفةً في رحم أمه، كما جاء في حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حدّثني الصادق المصدوق أنّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين نطفة ثمّ أربعين ثمّ أربعين» **قال**: «ثمّ يتنزّل الملك فيكتب أشقيٌ هو أم سعيد».

ـ **والتقدير الرابع**: هو التقدير الحولي في ليلة القدر، ففي كل سنةٍ يكون تقديرٌ لما يحدث في هذه السنة المقبلة ويكون ذلك في ليلة القدر.

ـ **والتقدير الخامس**: هو التقدير اليومي الذي تطّلع فيه الملائكة على ما كُتب في اللوح الذي في السماء الدنيا، فينَفِذون كل ذلك في موضعه ويُنْفِذُونه وينزلونه كما كتب الله عَزَّوَجَلَّ.

فالتقدير الحولي يكون في هذه الليلة العظيمة الشريفة ليلة القدر، وقد جاء ذلك في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان]، وهذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، كما قاله ابن

عبّاس وغير واحدٍ من السلف.

قال أبو عبد الرحمن السلمي ابن الصحابة: «يُدَبَّرُ أمر السنة في ليلة القدر».

وقال مجاهد: «كنا نُحدَّث أنّه يُفْرَقُ في ليلة القدر أمر السنة إلى السنة».

وكذا جاء عن ابن عبّاس -شيخ مجاهد- أنّه **قال**: «يُحْكِمُ الله أمر الدنيا إلى قابل في ليلة القدر، ما كان فيها من حياة أو موت أو رزق»، ومثله جاء أيضًا عن قتادة ومجاهد والحسن وغيرهم من السلف، وإن كان قد جاء في بعض الأخبار عن ابن عبّاس وابن عمر أنّه يستثنى من ذلك الشقاوة والسعادة فإنّهما لا يتغيران.

ولذلك فإنّ هذه الآية هي بمعنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، وذلك أنّ الله عَزَّوَجَلَّ في التقدير الحولي قد يمحو بعضًا ممّا قُدِّر في التقدير العمري، سواءً من جهة طول العمر أو سواءً من جهة كثرة الرزق، ولذلك قال النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْن وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَزِيدَان فِي الْعُمْرِ وَيَزِيدَانِ فِي الرِّزْقِ**». ففي هذه الليلة ليلة القدر يمحو الله عَزَّوَجَلَّ فيها ما يشاء ويثبت، ممّا فيه خيرُ العبد بسبب دعائه واجتهاده.

وقد جاء عند ابن أبي حاتم في تفسيره والبيهقي عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد:٣٩]. قال ابن عبّاس: «ينزل الله عَزَّوَجَلَّ في كلّ شهر رمضان إلى السماء الدنيا، يُدبر أمر السنة إلى السنة في ليلة القدر، فيمحو ما يشاء ويثبت إلّا الشقاوة والسعادة والحياة والممات»، وجاء عنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم وصحّحه في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ **قال**: «يمحو الله من أحد الكتابين ويثبُت في الآخر»، هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما، ويثبت وعنده أمُّ الكتاب». **أي**: جملته،

وهذا الأثر نحوه جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، فقد جاء عن عليٍ أنّه سأل النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، فقال: «**إنَّ تفسيرَ هذه الآية أنَّ الصَّدَقَةُ عَلى وجْهِها وبِرُّ الوالِدَيْنِ واصْطِناعُ المَعْرُوفِ يُحَوِّلُ الشَّقاءَ سَعادَةً ويَزِيدُ فِي العُمْرِ ويَقِي مُصارِعَ السُّوءِ**». إذا عُرف ذلك وأنَّ هذه الليلة يكون فيها التقدير الحولي وأنّ الله عَزَّوَجَلَّ يمحو الله ما يشاء فيه ويثبت في هذه الليلة، كما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ نعلم لما كانت هذه الليلة يستحبّ فيها الدعاء ويستحبُّ فيها الرجاء، ويستحبُّ فيها الإنابة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك جاء عن ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما عند الحاكم أنّه قال: «لا يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَمْحُو بِالدُّعَاءِ مَا يَشَاءَ مِنَ الْقَدَرِ»، فمن دعا الله عَزَّوَجَلَّ والتجأ إليه وأناب إليه متضرعًا خاشعًا، وقد قدَّم بين يدي ذلك عملاً صالحًا على سنَّة النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنَّه هو الحري أن يُستجاب دعاؤه، وخاصَّةً في هذه الليلة العظيمة ليلة القدر، وسيأتينا أنَّ بعض أهل العلم تَلَمَسَ من بعض الأحاديث أنّه يستحبّ أنّ الدعاء في هذه الليلة المستحبّ أنَّه يكون دعاءً مستجابًا.

ثمَّ إنّ الله عَزَّوَجَلَّ ختم هذه السورة العظيمة بهذا الفضل العظيم لهذه الليلة الجليلة، فقال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

﴿سَلَٰمٌ﴾ هذه نكرة، فدلَّ على أنّها مطلقة فتشمل كلّ صور السلام، إذْ السلام في هذه الليلة المباركة ليلة القدر يشمل أموراً:

❁ **فيشمل أولًا**: تسليم الملائكة على من يذكرون الله تعالى في هذه الليلة، ولذلك استحبّ بعض علماء الإقراء الوقوف على هذه الكلمة، والبداءة بعد ذلك بقوله: ﴿هِيَ حَتَّىٰ

﴿مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ وإن كان غالب علماء الإقراء على خلاف ذلك، لكنّه يدلّ على أنّها قراءة.

فقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ **أي:** سلامٌ من الله وسلامٌ من الملائكة لمن اجتهد في هذه الليلة، ولمن أقبل على الله عَزَّوَجَلَّ بقلبه وبدنه، وإنَّ السعيد هو حقيقة من سلَّم الله عليه وسلّمت عليه الملائكة، إذ الملائكة لا تسلّم إلا بإذنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وأمره، هنيئًا لمن دخل في فضل هذه الكلمة سلامٌ من الله وسلامٌ من الملائكة وتسليم.

❁ وممّا تشمله هذه الكلمة أيضًا ما جاء عن بعض المفسرين كمجاهدٍ وغيره أنّ السلام هنا بمعنى: السلامة. فمن اجتهد في هذه الليلة وأصاب فيها ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ وحثّ عليه، فإنَّه لا يقع عليه شيءٌ ممّا يضرُّ به الشياطين، شياطين الإنس وشياطين الجن، فلا يقع في هذه الليلة ضرر ولا يقع في هذه الليلة أذى، ولا يقع فيه شيءٌ من الشر في هذه الليلة، ولذا فإنَّ العبد يجدُّ في هذه الليلة وما جاورها أُنُسًا بالله وإقبالاً عليه، إذْ هو يسلم من شرّ الشياطين الذين يوسوسون، وللعبّاد في هذه الليلة شأنٌ عظيم لما فيها من السلام، ولما فيها من الخير العظيم الذي لا يعرفه إلّا من ذاقه، ولذا فإنّ هذه الليلة ليلةٌ من أعظم ليالي العام التي من خسر الوقوف فيها ولم يصب الاجتهاد فإنّه من أعظم الخاسرين.

وهذه الليلة ليلة القدر ليلةٌ فاضلة، كما فضّلها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وبيّن لها الأفضال العظيمة التي ذكرها:

- فهي ليلةٌ نَزَلَ فيها القرآن.
- وهي ليلةٌ أخفى الله عَزَّوَجَلَّ فضلها وأبان لنا من فضلها أنّها خيرٌ من ألف شهر باعتبار الليلة وباعتبار العمل.

ـ ومن فضلها أنّ الملائكة تتنزل فيها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.

ـ وأنّ من فضلها أنّ السلام فيها حتى مطلع الفجر.

هذه الفضائل كلُّها تدلُّنا على فضل هذه الليلة العظيمة ولذا فإنَّه يلزم المسلم أن يعتنيَ بهذه الليلة وأن يجتهد.

ولكن هنا مسألتان لابد من الانتباه لهما إذْ ليس كل اجتهادٍ يكون مقبولًا:

❁ **أول هاتين المسألتين**: أنَّه من المتقرر عند أهل العلم أن لا تلازم بين فضل الزمان ومطلق العبادة، فإنَّ من أيام السنة ما هو أفضل على الإطلاق؛ كيوم عيد الأضحى فإنَّ اليوم العاشر من شهر ذي الحجّة هو من أفضل الأيام كما أنّ ليلة القدر من أفضل الليالي، ومع ذلك فإنّنا نُهينا عن عباداتٍ خاصّةٍ فيه، فيُحرم صومه، ويُنْهَى نهي كراهةٍ تخصيص ليلته بقيام، وكذلك أفضل أيام الأسبوع يوم الجمعة، ومع ذلك يُكره إفراده بالصّيام، وأفضل أوقات اليوم هو العصر وقد أقسم الله عَزَّوَجَلَّ فيه وقال: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر]، ومع ذلك فإنّا قد نهينا عن التنفل بالصلوات بعد صلاة العصر.

المقصود من هذه القواعد أن نعلم جميعًا أنّ ليلة القدر ليلةٌ فاضلةٌ بل هي أفضل ليالي العام على الإطلاق بيد أنَّه لا يشرع فيها مطلق العمل وإنّما يشرع فيها ما استحبّه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ وقبل بيان ما هي الأعمال المؤكدة في هذه الليلة بالخصوص، فإنَّ **قول** الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ هذا من باب التَّقييد بالغاية، وهذا يدلُّنا على مسألة تُفيدنا السنة كلها وهي أنَّ الليل منتهاه طلوع الفجر، ومبتداه بغروب الشمس، فكلّ ليلةٍ سواءً ما

يتعلّق بالفضائل؛ كليلة الجمعة وليلة العيد في التّكبير وغيره، أو فيما يتعلّق بحقوق الآدميين؛ كالديون عند الاستحقاق إذا كانت مُعلّقةً بالليل فإنَّ مبتدأه يكون بغروب الشمس، ومنتهاه يكون بطلوع الفجر، وأمّا النهار **فإنّ أكثر أهل العلم يقولون**: إنّ مبتدا النهار من طلوع الفجر ومنتهاه بغروب الشمس، **وقيل**: إنّ مبتدأ النهار من طلوع الشمس **أي**: إشراقها. وأمّا من طلوع الفجر إلى إشراق الشمس فهو حدٌّ بين الليل والنهار، ولذا فإنّه لا يجمع لصلاة الليل **أي**: لا تجمع صلاة الفجر لصلاة الليل ولا تجمع مع صلاة النهار.

وعلى العموم فهذه المسألة يتعلّق بها فروعٌ فقهيةٌ قليلة لكن الليل هو إلى طلوع الفجر وجهًا واحداً وليس إلى طلوع الشمس.

المقصود: أن نعلم أنَّ هذه الليلة يبتدأ فضلها من حين غروب الشمس، فمن حين تغرب شمس تلك الليلة يبتدأ فضلها، ويمتدّ الفضل إلى طلوع الفجر، ولذا فإنّ العلماء لمَّا تكلّموا عن قيام الليل، **قالوا**: إنّ قيام الليل يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر فكلّه يسمّى قيام ليل.

هذه الليلة يُشرع فيها الأعمال الصالحة التي ورد بها النقل دون مطلق العمل. نعم يُشرع الاجتهاد كما جاء في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»، ولكن المتأكد والأفضل أن يشتغل المسلم بما جاء عن النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وغيرها من الطاعات قد يكون هو اشتغالٌ بالفاضل عن الأفضل فيجب الانشغال بالأفضل عنه.

ولنعلم **ما هي الأعمال الفاضلة في هذه الليلة؟** إذ من فقه الصّحابة -رضوان الله عليهم- أنّهم سألوا النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن العمل الذي يُعمل في هذه الليلة، لمعرفتهم

هذه القاعدة وهي مسألة **ما الذي يُفعل في هذه الليلة من الأعمال الصالحة؟** فقد جاء عند الإمام أحمد وأهل السنن أنّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سألت النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقالت:** «يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلةٍ هي ليلة القدر ماذا أقول فيها؟» **فقال** النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّك عَفُوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُو عَنِّي**»». هذا الحديث العظيم يدلّنا على القاعدة التي ذكرتها ابتداءً والتي فهمها الصّحابة من هدي النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أنّه يُجتهد في المواسم الفاضلة بأفضل الأعمال.

وإنَّ من أفضل الأعمال في ليلة القدر:

❁ **كثرة الدعاء**، وأفضل الدعاء الكلمات الجامعة التي جاءت عن نبيّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأجمع الدعاء ما كان في القرآن. وقد جاء أنّ أيوب السختياني شيخ الإمام مالك كان يؤم قومه بالبصرة، وكان يقنت لهم في العشر الأواخر، وكان يدعو بالدعاء الذي في القرآن فقط، فالمسلم يدعو في هذه الأيام ويجتهد بخيري الدنيا والآخرة، وآكد الدعاء جوامع الكلم، وآكد جوامع الكلم في هذه الليلة أن يدعو بالدعاء الذي علّم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة أن تقوله، وهو: «**اللَهُمَّ إِنَّك عَفُوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُو**»، «**اللَهُمَّ إِنَّك عَفُوٌ**» هذه من صفة الله عَزَّوَجَلَّ العفو، «**تُحِبُّ الْعَفْوَ**» هذه من صفاته الفعليّة أنّه يحب العفو، «**فَاعْفُو عَنِّي**» **أي:** فاعفو عني يا ربّ، فاعفوا الذنب وامحه ولا تبقي له أثرًا، ومن عفا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه فإنّه هو السعيد، وهو الذي يُغبط على توفيق الله عَزَّوَجَلَّ له بالعفو والمغفرة.

وقد ذكر بعض أهل العلم كما ذكر ذلك السَّامُرِّي أنَّ أهل العلم أخذوا من حديث عائشة أنَّ الدعاء في ليلة القدر مستجاب؛ لأنّ عائشة سألت النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: «يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلةٍ ليلة القدر فماذا أدعو؟»، فكأنّها بيّنت أنّ الدعاء في هذه

الليلة له ميزة على غيره من الليالي، ولذا فإنَّ المسلم لا يحرم نفسه من هذه في هذه الليلة من الدعاء، والابتهال إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وليحرص على أن يأتي بوسائل استجابة الدعاء فيكون دعاؤه:

- في سجود.
- ويكون قد قدّم بين يديه عملاً صالحًا.
- ويكون قد لزم مسجدًا.

۞ من الأعمال الفاضلة في هذه الليلة وفي العشر عمومًا بل في رمضان كلّه **أن يعتني المسلم بقراءة كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ، فإنّ قراءة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فاضلة في شهر رمضان كله، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١]، ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، ولذلك النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يقرأ القرآن في رمضان، قال ابن عبّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «كان النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ أجود النّاس وكان أجود ما يكون في رمضان حينما يأتيه جبرائيل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ يدارسه القرآن»، فكان جبرائيل يدارس النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ القرآن في كل سنةٍ مرّة، إلّا في السنة التي قبض فيها صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ، فقد دارسه جبرائيل القرآن مرّتين، وتلك هي العرضة الأخيرة.

فالمقصود: أنّ قراءة القرآن فاضلةٌ في رمضان كلُّه ويتأكد أيضًا في هذه الليلة؛ لأنَّ القرآن من دِلالة الاقتران اقترانه برمضان، واقترانه بليلة القدر، ولذلك كان العلماء يجتهدون في كثرة القراءة في العشر الأواخر، جاء عن أُبَي وجاء عن سعيد بن جبير وعن جمعٍ من السلف من الصّحابة والتابعين أنَّهم يجتهدون في قراءة القرآن في هذه العشر ما لا يجتهدون في غيره من أيّام السنة أو في رمضان عمومًا.

❁ **ومن الأعمال المتأكّدة في هذه الليلة هو: قيام هذه الليلة**، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» أي فضل وأي نعمة أنّ الله عَزَّوَجَلَّ يغفر ما تقدّم من الذنب بقيام ليلةٍ واحدة، وهذا على عمومه لأنَّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» و«**مَا**» اسم موصول **بمعنى**: الذي، وهو من أقوى صيغ العموم، ليس الأقوى وإنّما من أقوى صيغ الأسماء الموصولة، ولنقل إنّه من الصيغ القويّة.

فالمقصود: أن هذه من صيغ العموم فيغفر جميع الذنوب.

وقد قرّر جماعة من المحققين ابن المنذر وغيره أنّ ما جاء من هذه الفضائل يشمل الصغائر والكبائر إذ فضل الله واسع، والنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقول**: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ عَبْدِي مَا شَاءَ**». فمن ظنّ بالله أنّه يغفر الصغيرة والكبيرة بقيام هذه الليلة فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ عند حسن ظنه، والله كريم ورحيب وعفو وغفور، أرحم بنا والله من أمهاتنا، وأرحم والله بنا من أنفسنا، فلو أنَّ أحدًا منَّا قدر لنفسه ما شاء فإنَّ تقدير الله ورحمته به أعظم وأجل.

ولذلك فإنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يجتهد في هذه العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها كما جاء في الصحيح من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل في العشر شدّ مئزره وأيقظ أهله وأحيا ليله».

- (شدّ مئزره) كنايةً عن الاجتهاد وعدم الانشغال بغير العبادة.
- (وأيقظ أهله) من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- (وأحيا ليله) بقيام الليل.

ولنعلم أنَّ الصلاة في الليل وقيام الليل إنَّما هو قرآنٌ ودعاء، فمن أحيا الليل وخاصَّةً ليلة القدر، وأشغل القيام والركوع والسجود بالثَّناء على الله وقراءة القرآن والدعاء والابتهال له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنّه في الحقيقة هو الذي حاز الخير بطرفيه.

۞ ومن العبادات الفاضلة في هذه الليلة الفاضلة الاعتكاف ولزوم المسجد، فقد كان صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف في العشر الأواخر خصوصًا كما ثبت في الصحيح في حديث أبي سعيدٍ الخدري: «أنّ النبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتكف في أوّل رمضان وأوسطه ثمّ اعتكف في آخره). وجاء في لفظٍ عند البخاري أنّ النبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في ليلة القدر معتكفا، فقد جاء عن أبي سعيدٍ أنّه قال: (اعتكفت مع النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العشرة الأواسط من رمضان فخرج صبيحة العشرين فخطبنا فقال: «**إِنِّي أُرِيت لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنَ الْوِتْرِ**» قال: فرجعنا»، فدلَّ ذلك على أنّ النبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتكف بعد ذلك لمّا أخبر بذلك **أي**: أن ليلة القدر كانت في العشر الأواخر، ولذلك فإنّ لزوم المسجد من العبادات الفاضلة.

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هذه العبادة في كتابه كما قال سبحانه: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ويقول أيضًا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥]. فذكر الله عَزَّوَجَلَّ الاعتكاف في المسجد في مقام المدح، **والقاعدة عند أهل العلم أنّ ما جاء في مقام المدح فإنّه ممدوحٌ فيكون مندوبًا على أقلّ أحواله**، وقد اعتكف النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر بالاعتكاف أمر ندبٍ حينما حثّ أصحابه على

الاعتكاف، كما جاء في حديث أبي سعيد: «**مَنْ كَانَ مُعْتَكِفًا فليعتكِفِ العَشْرَ الأواخِرَ**».

نعم لم يرد حديثٌ على سبيل الانفراد يدلّ على فضلٍ معينٍ للاعتكاف، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى لمّا سأله أبو داود صاحب السنن «هل تعرف في فضل الاعتكاف شيئًا؟ قال: لا، إلّا شيئًا ضعيفًا»، ولعلّ في ذلك حكمة أنّ خفاء الأجر قد يكون لعظمه، كما جاء في فضل الصّيام أنّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: «**إِلّا الصَّوْم فإنَّه لي وأنا أجْزِي بِهِ**».

لكن من لزم المسجد معتكفًا فإنّه ينال أجراً عظيماً فإنّه ينال أجر المكث في المسجد، وينال أجر انتظار الصلاة بعد الصلاة، ناهيك عن أجر قراءة القرآن وذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد جاء أنّ بعض الصّحابة -رضوان الله عليهم- لمَّا تحرّى ليلة القدر دلّه النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الاعتكاف، فقد جاء عند أبي داود من حديث عبد الله بن أنيسٍ الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه أتى النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر له أنّه في بادية قومه وأنّه إمامهم يصلي بهم، وقال للنبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمرني بليلةٍ أنزل فيها إلى هذا المسجد -يعني مسجد النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، **فقال** له النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْزِلْ لَيْلَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِين**» فذكر ابن عبد الله بن أنيسٍ أنَّ أباه كان يدخل المسجد بعد صلاة العصر فلا يخرج منه لأي حاجة حتَّى يصلي الصبح، فإذا صلّى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ثمّ لحق بباديته.

هذا الحديث يدلّنا على:

❁ أنَّ لزوم المسجد فاضل.

❁ كما أنّ فيه نكتةً أخرى وهو أنَّ من الفضائل أن يكون المرء ملازمًا المسجد، أحد المساجد الثلاثة الفاضلة:

-المسجد الحرام.

- ومسجد النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- والمسجد الأقصى.

ولذلك العلماء يقولون: إنّ الاعتكاف أفضل ما يكون في العشر الأواخر، وأفضله في المساجد الثلاثة ويجوز في غيرها.

ولذلك لمّا قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أنّه لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة» قال له ابن مسعود: «لعلّهم حفظوا ونسيت وعلّموا وجهلت». فإنّ ظاهر القرآن يدلّ على أنّ الاعتكاف يجوز في كل مسجد، ﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي ٱلْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧]، فالمساجد هنا تعمّ كل المساجد وليست خاصّةً بالمساجد الثلاثة.

هذه هي أهم الأعمال التي تُفعل في هذه الليلة الفاضلة:

- الدعاء.
- قراءة القرآن.
- قيام الليل.
- الاعتكاف ولزوم المسجد.

فإنّ هذه الأمور الأربع متأكدة وخاصّةً إذا كان لزوم المسجد من المساجد الفاضلة، المسجد الحرام ومسجد النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسجد الأقصى.

بقي عندنا مسألة أخيرة، أختم بها حديثي في هذه الليلة الطيّبة المباركة، وهو وقت هذه الليلة:

-أيّها الإخوة الأكارم- إنّنا مقبلون على هذه العشر الأواخر فما هي إلّا غدًا تبدأ فيها

العشر الأواخر، ونحن هنا في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأماكن الفاضلة التي يُعظِّم الله عَزَّوَجَلَّ ويُضاعف فيها أجر الصلاة، ولزوم المسجد فيها في العشر الأواخر آكد من غيره من المساجد، ولكن هذه الليلة ليلة القدر هي في العشر الأواخر جزمًا؛ لورود عددٍ من الأحاديث الصريحة أنَّها في العشر الأواخر، فقد ورد من حديث أبي سعيد وورد في حديث غيره الجزمُ بأنّها من العشر الأواخر من غير تحديد، وقد أخفى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الليلة عن كثيرٍ من النَّاس، ولم يظهرها إلا للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوّل الأمر ثم أخفاها عنه بعد ذلك، وسببُ إخفائها حكمةٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليجتهد المسلمون في العشر كلّها، فإنَّ العشر كلّها لها فضل وكل ليلةٍ لها فضل عظيم ويفضل أيّام السنة كلّها ولياليها ولكن ليلة القدر هي أفضل الفاضل، فلو أنّ النّاس قد علموا فضل هذه الليلة وحدها لربّما اقتصروا في الاجتهاد عليها دون الأيام الفاضلة فحرموا نفسهم خيرًا كثيرًا.

ولذلك فقد أخفي عددٌ من المواسم الفاضلة؛ كساعة الاستجابة في يوم الجمعة، وأخفيت ليلة القدر وغير ذلك، والساعة التي يستجاب فيها الدعاء في الليل وهكذا.

وقد جاء في صحيح البخاري من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إليهم ليخبرهم بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين، **أي**: رفعوا أصواتهم، **فقال** النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُم بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاحَى فلانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَت وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُم فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ**»، هذا الحديث يدلّنا أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصّ على:

- أنَّ ليلة القدر قد رُفع معرفة تحديدها على سبيل الجزم والقطع.

- **والأمر الثاني**: فيه دلالةٌ على أنّ من الأمور التي تذهب البركة في العلم، وتذهب

البركة في الخير كلّه الجدل والمُلاحاة، فانظر كيف أنّ هذين الرجلين لمّا تلاحيا، رفع الله عَزَّوَجَلَّ عن النّاس معرفة ليلة القدر بسبب ذلك.

ولذا فإنّ المسلم يلزمه ترك الجدال والمراء في سنته كلّها، وخاصّةً في هذه الليلة الفاضلة فلا ينشغل فيها إلّا بذكر الله، وقد كان الأئمة ينشغلون حتّى عن الفقه؛ لأنّ فيه ربّما بعض الاجتهاد في وجوه الاستدلال.

وهذه الليلة أيضًا جاء أنّها أخفيت لسببٍ آخر فقد جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة أنّ النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أَيْقَظَنِي بَعْضُ أَهْلِي فَنُسِّيتُهَا فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْغَوَابِرِ**». وهذا الحديث يُحتمل:

- أنّه أُخبر بها مرّةً أخرى ثمّ نسيها.
- ويحتمل أيضًا أنّ النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُسّيها لأجل مجموع السببين:

-الملاحاة.

- ولكون بعض أهله قد أيقظه.

وعلى العموم فإنّ الصواب أنّها ليلةٌ أخفاها الله عَزَّوَجَلَّ بعدما أعلم بها نبيّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّ النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يجزم بتحديدها، وإنّما قال: «**الْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ أَوْ السَّابِعَةِ أَوْ الْخَامِسَةِ**».

وقد جاءت أحاديث كثيرة في تحديد ليلة القدر، وهذه الأحاديث ربّما تستوعب العشر كلّها فجاء أنّها في: ليالي الوتر.

وليالي الوتر لأهل العلم فيها **حسابان من السلف**:

- **فمنهم** من يحسب الوتر باعتبار أوّل الشهر.

❁ **ومنهم من يحسب الوتر باعتبار آخره.**

فمن احتسب الوتر باعتبار أوّله، فإنّ الليالي الوترية هي **ليالي**:

- الواحد والعشرين.
- والثالث والعشرين.
- والخامس والعشرين.
- والسابع والعشرين.
- والتاسع والعشرين.

ومن احتسب الوتر باعتبار آخر الشهر، كما جاء في بعض الأخبار عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنّ الليالي الوترية إذا كان الشهر ناقصًا هي نفس الليالي الوترية بحساب أوّل الشهر، وأمّا إذا كان الشهر تامًا **أي**: أنّ شهر رمضان ثلاثون ليلة فإنّ الليالي الوترية تكون:

- ليلة الثلاثين.
- وليلة الثامن والعشرين.
- وليلة السادس والعشرين.
- وليلة الرابع والعشرين.
- وليلة الثاني والعشرين.

وعلى ذلك فإنّ العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أكدوا على المعنى الكلّي الذي بيّنه النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي سعيدٍ وغيره: «**فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ**» **أي**: في العشر الأواخر كلّها لاحتمال أن تكون فيها جميعًا.

وقد جاءت أحاديث خاصّة في فضل كل ليلةٍ من هذه الليالي العشر ممّا يدلّ على فضل هذه الليلة على سبيل الانفراد وعلى احتمال أن تكون ليلة القدر، فقد جاء في حديث أبي سعيد أنّ ليلة القدر التي رأى فيها النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنّه يسجد في ماءٍ وطين هي ليلة الواحد والعشرين.

وجاء في حديث عبد الله بن أنيسٍ أنّ ليلة القدر يُحتمل أن تكون ليلة الثالث والعشرين، فإنّه قد جاء في «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن أنيسٍ أنّ النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ نُسِّيتُهَا، وَأَرَانِي صُبْحهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِين**»، قال عبد الله بن أنيسٍ: «فمطرنا ليلة ثلاثٍ وعشرين فصلّى بنا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وإنَّ أثر الماء والطين على جبينه وجبهته»، أو قال: «على جبينه وأنفه».

فالمقصود: من هذا أنّ ليلة ثلاثٍ وعشرين هي ليلةٌ محتملة.

كذلك ليلة خمسٍ وعشرين، فإنّ النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**الْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ أَوْ السَّابِعَةِ أَوْ الْخَامِسَةِ**».

وكذلك يحتمل أن تكون ليلة سبعٍ وعشرين وقد جاء عن بعض الصّحابة أنّه كان يحلف على ذلك، ففي «صحيح مسلم» أنّ أُبَي بن كعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ كان **يقول** في ليلة القدر: «والله إنّي لأعلمها وأكبر علمي هي الليلة التي أمرنا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بقيامها وهي ليلة سبعٍ وعشرين»، وهذا من باب الحلف على غلبة الظنّ وهو جائز.

وقد جاء في روايةٍ في «مسلم» أنّ عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ذكر أنَّ ليلة القدر في السنة كلِّها، **فقال** أُبَي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «أما إنّ ابن مسعودٍ قد علم أنّها في رمضان وأنّها في العشر الأواخر وأنّها ليلة سبعٍ وعشرين»، ثمّ حلف أبي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لا يستثني **أي:** لا يقول إن شاء الله إنّها

ليلة سبعٍ وعشرين.

وقد جاء أيضًا ذلك من حديث معاوية عند أبي داود مرفوعـًا للنبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صـيغة الجزم ليلة القدر ليلة سـبعٍ وعشـرين، ومثله جاء عن عبد الله بن عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّ النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه رجلٌ فقال: يا رسـول الله إنّي شـيخٌ كبيرٌ عليلٌ يشـقُّ علي القيام فامرني بليلةٍ لعلّ الله يوفقني فيها ليلة القدر فقال له النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْك بِالسَّابِعَة**».

ولذلك فإنَّ أرجى هذه الليالي من العشـر هي ليلة سـبعٍ وعشـرين، وليس معناه أنّه مقطوعٌ بها، وقد جزم أحمد بأنّها الأرجى لا أنها هي هي.

وفائدةُ معنى كونها الأرجى: أن المرء إذا كان قد قصر لعجزٍ فيه وضعف كذلك الشّيخ الذي جاء للنبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لشغلٍ فلا يحرم نفسه من هذه الليلة بالاجتهاد في الأعمال التي ورد بها النقل، وأمّا غيرها من الأعمال فظاهر السـنّة أنّ الفضـل فيها كغيرها، فإنّ الصـدقة في ليلة القدر والعمرة فضـلها كفضـل سـائر الصـدقة والعمرة في رمضـان من غير تفريق.

وممّا جاء أيضـًا أنّها في آخر ليلة من رمضان سواءً كانت ليلة التاسع والعشرين أو ليلة الثلاثين، وهذا جاء فيه حديثٌ عند ابن خزيمة من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّ النبيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**الْتَمِسُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ**». **أي**: من رمضان.

فالمقصـود: من هذا كلّه أنّه لا يصـحّ لأحدٍ أن يجزم أنَّ ليلة القدر هي في الليلة الفلانية لا يجزم بحسـاب كما يزعم بعض النّاس، ولا يجزم برؤية رآها هو أو رآها مجهولون وعبّرها من عبّرها كائنـًا من كان، ولا يجزم بغير ذلك من الأسـباب، إذْ النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنِّي قَدْ نُسِّـيتُهَا**»، وأنّها قد أُخفيت عنه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّها قد رُفعت عنه والصّـحابة

لم يعلموا بذلك، ثمّ يأتي شخصٌ بعد مئات السنين ويزعم أنَّه قد عرفها وهذا ليس بصحيح، ولكن نقول هو الأرجى هي في العشـــر الأواخر، ولكن الأرجى أن تكون في ليلة كذا أو في ليلة كذا مع أنّ كلّ ليلةٍ من ليالي العشـــر قد جاء فيها خبرٌ يدلّ على احتمال أن تكون فيها، ولذا قال جمعٌ من أهل العلم والعلم عند الله عَزَّوَجَلَّ أنّها ليلةٌ متنقلة، فتنتقل من عام إلى عام في ليلةٍ عن أخرى وهذا علمه عند الله عَزَّوَجَلَّ، إنّما نحن متعبّدون بالاتباع والنقل والأثر.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢﴾ **أي**: لا تدري فضـــلها ولا تدري محلّها إلّا بعلم الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بما أوحاه الله إليه أنّها في العشر الأواخر، وما أوحاه إليه من تعيينها فقد رفعه الله عَزَّوَجَلَّ ونُسّيه النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

-أيّها الإخوة الأكارم- إنّنا هنا في هذه الليلة والليالي المقبلة في مكانٍ فاضل في مسجد رســول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وفي زمانٍ فاضــل الليالي العشــر، فلنجتهد جميعـًا بالدعاء، ولنجتهد جميعـًا بالقيام مع الإمام وبعده، ولذلك فإنَّ التعقيب **أي**: الصـــلاة بعد صـــلاة التراويح لا بأس به، نصَّ عليه أحمد وكثيرٌ من علماء الســـلف، فيجتهد المرء في الصـــلاة والقيام بما يستطيعه فإنّما هي ليالٍ قليلة.

أسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يجعلنا ممن أدرك ليلة القدر وأن يجعلنا ممن فاز فيها بعظيم الأجر، وأن يجعلنا ممَّن صــام هذا الشـــهر وقام لياليه وقام ليلة القدر إيمانـًا واحتسابًا.

وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، وأن يرحم ضعفنا وأن يجبر كسرنا، وأن يُجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وأسـأله سـبحانه أن يحفظ بلادنا من كل سـوء، وأن يحفظ سـائر بلاد المسـلمين، وأن يرينا الحق حقـاً ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

وأسـأله جَلَّ وَعَلَا أن يحفظ ويصـلح أئمتنا وولاة أمورنا، وأن يغفر لوالدينا وأن يشـفي مريضهما وأن يتجاوز عنَّا ويصلح لنا في ذرياتنا نيّاتنا.

اللهم إنّك عفوٌ تحب العفو فاعفو عنّا، اللهم إنّك عفوٌ تحب العفو فاعفو عنّا، اللهم إنّك عفوٌ تحب العفو فاعفو عنّا.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا ونبيّنا وقدوتنا محمّد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين.

والله أعلم.

